هل ودلالتها على التصديق في السياق القرآني

د. سعد عبد الرحيم الحمداني
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

تاريخ استلام البحث : ٢٩ / ١٠ / ٢٠١٤ تاريخ نشر البحث : ١ / ١٢ / ٢٠١٤

الملخص

يتناول البحث أداة الاستفهام (هل) وما تشع به من المعاني الثرَّة الجميلة؛ فهي للاستفهام لكنَّها لا تقف عند هذا الحد؛ بل تتخطاه لتصل إلى ما لا يراد به الاستفهام حقيقة من الأغراض المجازية التي تفهم من السياق؛ فلا تكاد تكون للاستفهام حقيقة في القرآن الكريم؛ بل تخرج إلى النفي والإنكار والإخبار والتحقيق والأمر وغيرها من المعاني الثواني في سياق جميل، تثيره الاستجابة الحاصلة من حقيقة الاستفهام منطلقة إلى تحديد نوع نشاط الاستجابة هذه بما يرسمه السياق وصولاً إلى تحقيق المعنى المراد والغاية المتوخاة من هذا الكتاب العظيم.

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مــن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد؛

فإنَّ القرآن الكريم حبل الله الواصل بين السماء والأرض ، كتاب تشريع أولاً ، وكتاب إعجاز ثانياً، ولاسيما في لغته وتركيب جمله؛ فلا يمكن إبدال كلمة بكلمة أخرى أو سياق بسياق آخر؛ بل وحرف بحرف وهذا ما نحن بصدده في (هل) الاستفهامية وفرقها عن أختها (الهمزة)، فلكل معناها في سياقها القرآني الذي يكتنفها.

وقد استوى البحث في تمهيد تناول أداة الاستفهام (هل) ودلالتها على التصديق والتصور، ثم التمييز بينها وبين أختها الهمزة، ولا سيما في اجتماعهما في دلالتهما على التصديق وبيان الفرق الدقيق بينهما؛ فكان لابد من تحليل السياق القريب من (هل) قبلها وبعدها للكشف عن تلك الميزة التي انفردت بها وهي الضدية التامة، فلا هاجس يميل بها إلى واحدة من طرفيها جوابها، وتجلى هذا كلُّه في الكلام عن آلية عمل (هل) النفسية والفرق الفطري والصوتي بينها وبين (الهمزة)؛ ليكون كل هذا جمعا للعناصر التي تمهد لدراسة المعاني الثانية لـ(هل) في النماذج القرآنية المختارة، وهذه المعاني توزعت على على طول البحث مستقلة كل واحدة قائمة برأسها فما أمكن جمعها في مباحث، ثم كانت الخاتمة التي جمعت أهم النتائج التي خلص إليها البحث.

وقد كان المنهج المتبع في البحث تاريخياً في التمهيد للوقوف على كلام العلماء البلاغيين والنحويين عن (هل) ودلالتها على التصديق، وتحليلياً في الكلام عن معانيها الثواني لكشف العلاقة السياقية بين أفراد الجملة الواحدة في تركيبة الجملة الاستفهامية، دركاً لمدى إصابة هذا التركيب، في مخاطبة المتلقي نفسياً وفكرياً.

وأمَّا أهم المصادر التي أعانت البحث؛ فكانت في مقدمتها الكتب التي تعتني بحروف المعاني في العربية ومنها: الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين المرادي (ت749هـ) وغيرها، وكتب التفسير البلاغية ومنها: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت538هـ)، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت1393هـ)، وغيرها من الكتب التي تعنى بالدراسات القرآنية من حيث لغته وبيانه.

إنَّ الكمال أمنيَّة يرنو إليها كل إنسان، لكنْ لابد من الخطأ؛ فكل ابن آدم خطاء، يخطئ لكنَّه يحثُّ الخطا شيئاً فشيئاً نحو الصواب بصبر وتواضع وأناة ؛ لعلَّه يؤجر أجراً طيباً في تطوافه في رحاب هذا الكتاب العظيم فأسأل الله ﷻ أنْ يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم؛ لينفعني الله بها ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء، الآية:88-89].

والشكر الجزيل لكل من أعان البحث بنصيحة أو إشارة أو إيماءة نفع البحث بها، وآل عند الله أجراً وأورثه محبة من الله إليه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

التمهيد

هل حرف استفهام

(هل) حرف استفهام تدخل على الجملة الفعلية نحو: هل حضر الأستاذ؟، وعلى الجملة الاسمية نحو: هل محمد حاضر؟ ولا يطلب بها إلا التصديق[١]، فيمتنع استعمالها في كل أسلوب يدل على طلب حصول التصور[٢] بخلاف أختها الهمزة؛ فيطلب بها التصديق والتصور[٣] ، فهما يلتقيان في طلب التصديق على فرق دقيق بينهما، نراه فيما يأتي:

ولا يخفى أنَّ هاجس إثبات المستفهم عنه المصاحبة للهمزة التي للتصديق؛ يضعف الضدية القائمة بين جانبي : النفي والإثبات في جواب الاستفهام، مغنياً أحدهما على حساب الآخر، أمَّا في سياق (هل) ؛ فهو ثبات ضدية اللحظة التي لا يشوبها هاجس يرجح به أحد طرفي الجواب على الآخر، فإما أنْ يقع الأول أو يقع الثاني.

١- إنَّهما بعد اشتراكهما لطلب فهم حدوث أمر ما وجوداً أو عدماً، والحدوث مختص بالفعل او ما فيه معناه؛ فاقتضيا أنْ يليهما الفعل إلاَّ أنَّ (هل) أدعى له من الهمزة؛ لأنَّ (هل) في الأصل بمعنى (قد) التي هي من خواص الأفعال وكذا ما هو بمعناها[٤]. وهذه في بعض أحوالها فلا يصح هذا في مثل قوله تعالى :﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة فاطر، الآية:3]، ف(هل) تأتي هنا بمعنى النفي[٥].

٢-لا يستفهم بـ (الهمزة) حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه بخلاف (هل) فإنَّه لا يترجح عنده نفي ولا إثبات، نحو: أنجح عامر، ويستفهم بـــ (هل) حينما لا يترجح إثبات المستفهم عنه ولا نفيه نحو: هل نجح عامر فالمستفهِم بـ(الهمزة) لديه في نفسه ما يجعله يميل إلى الظن بنجاح عامر، وأمَّا المستفهِم بـ(هل) فيستوي عنده نجاح عامر ورسوبه[٦]؛ لذا يقبح استعمال (هل) في كل تركيب هو مظنَّة العلم بحصول النسبة نحو: هل طالب جاء[٧]، وكذلك قولنا: هل زيداً ضربت؛ ((لأنَّ تقديم الاسم يُشعر بحصول التصديق بنفس النسبة))[٨]، فإذا قلت: هل تضرب زيداً فلا يكون أن تدَّعي أنّ الضرب واقعٌ وقد تقول: أتضرب زيداً وأنت تدَّعي أنَّ الضرب واقعٌ، وتقول للرجل: أطرباً؟! وأنت تعلم أنّه قد طرب لِتُوَبِّخَهُ وتُقَرِّرَهُ. ولا تقول هذا بعد (هل)[٩]؛ لأنَّها ستكون حينذاك لطلب حصول الحاصل وهو محال، وقبيح بإجماع النحاة[١٠].

٣- أنَّ (هل) تخصص المضارع غالباً بالاستقبال بخلاف الهمزة فلا يجوز أنْ يقال: هل تنهر هاشماً وهو أبوك؟ ويجوز أنْ يقال: أتنهر هاشماً وهو أبوك[١١]. ومثال عدم تخصيصها المضارع بالاستقبال قوله تعالى:(وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ)[سورة التوبة الآية:127] [١٢].

٤- لا تدخل (هل) على منفيٍّ؛ لأنَّها في الأصل بمعنى (قد)؛ لذا كان التصديق بها من قبيل التصديق الإيجابي دون التصديق السلبي، فيمتنع مع (هل) قولنا: هل لم يقم زيد[١٣]، ويحسن أنْ يليها الفعل لفظاً أو تقديراً؛ فلا يجوز أنْ يقال: هل لا يذاكر أحمد دروسه؟ بخلاف الهمزة؛ فيجوز أنْ يقال ألا تذهب إلى المدرسة[١٤].

٥- أنَّها لا تدخل على (إنَّ)، فلا يقال: هل إنك طالب، بخلاف الهمزة، فيجوز أنْ يقال: أإنك طالب[١٥]، ولا يخفى التوافق القائم بين التوكيد في (إنَّ) والهاجس القائم في الاستفهام بـ (الهمزة) نحو المستفهَم عنه.

دلالة (هل) على التصديق وآلية عملها النفسية

التصديق وهو: ((طلب تعين الثبوت أو الانتفاء في مقام التردد))[١٦]، الذي يعتور المتكلم، أو هو ((انقياد الذهن وإذعانه لوقوع نسبة تامة بين شيئين))[١٧] ، بعد ان تتحقق عنده وقوع هذه النسبة التي تكون نسبة إثبات ويكون الجواب عنها بـ(نعم)، أو نفي ويكون الجواب عنها بـ(لا). وهذه كلها تصب في تصور كمال الضدية في سياق جواب (هل) فلا تشوبها شائبة هاجس بترجح أحد طرفي جوابها: الإثبات أو النفي.

ولعل المُتَفَحِّصَ يشعر بهذا جلياً فيما نراه في (هل) من صوت التنبيه في الهاء لإثارة انتباه السامع لأمر ما يعنيه المتكلِّم، و(اللام) التي هي للإلصاق والإلزام ومحصلة خصائص حرفيها تتوافق مع معانيها في الطلب. من عيانية ووضوح وإلزام[١٨]. كأنَّ (اللام) في آخرها بما فيها من إلصاق تأكيد على واحد من جانبي التضاد دون الميل إلى واحد منهما، فإذا اختير أحدهما كان اختياراً جازماً مُتمثِّلاً في صورة الإلصاق.

أمَّا (الهمزة) المزمارية المخرج؛ فهي مثل أي حرف ذي صوت انفجاريٍّ في الطبيعة يوحي بالحضور والعيانية والوضوح، وذلك بما يثيره من الانتباه في سمع السامع وفي

ذهنه لميزة الوضوح في صوتها. ولما كان صوتها يترافق خروجه مع انفراج الفكين بعضهما عن بعض في حركة إلى الأعلى، فإنه يشير إلى البروز ويوحي به، كمن يقف على تُكأَة[١٩].فكأنَّها نهاية غير منتهية تصب في أول شيء يلتقيها وهو المستفهَم عنه، وهو الهاجس تجاهه الذي تتميز به (الهمزة) دون (هل)، ولعلَّ من تقريب الفهم أن نمثل بمثل من الواقع: رجلان ينتظران رجلاً اسمه زيد، وهما في مكان لا يريان فيه زيداً إذا أقبل، فقال الأول: أجاء زيد؟ وقال الآخر: هل جاء زيد؟ فالأول يظل يُطلُّ برأسه إلى الغرفة مترقباً وينتظر، وقد غلب على ظنِّه مجيء زيد، والآخر، قد يغادر المكان؛ لأنه لا يتوقع قدوم زيد؛ بل يريد الحكم نفياً أو إيجاباً؛ فهو ليس في حال الترقب، إذ لا يجد في نفسه ذاك الهاجس.والاستفهام في حقيقته ((طلب الفهم))[٢٠]، وهذا الطلب في أصله استجابة لمثير يدفع السائل إلى معرفة سببه فيطلبه بالسؤال[٢١]، أمَّا إذا كان سؤال المتلقي عن شيء معروف عنده أصلاً؛ فتكون داعية إلى اثارته فهو منبه مثير لاستغرابه، واستجلاب المعنى من جديد وتصويره في الذهن؛ لأنَّه نابع من قوة الطلب الكامنة في الاستفهام بـ(هل) فهو إنشاء طلبي[٢٢] يصير استجابة عند المتلقي، واحدة من استجابتين معروفتي الاتجاه يعرف الذهن طريقه نحو واحدة منهما: استجابة النفي أو استجابة الإثبات؛ مستصحباً في ذلك كله معالجة نفسية وفكرية تستمد قوتها ممَّا استقرَّ في نفس المتلقي عن المستفهَم عنه ، ولا شك أنَّ هذا كلَّه يصُبُّ أخيراً في واحد من طرفي الجواب المتضادين؛ لينتج المعنى الثاني الذي يضم طبقات كثيرة من المعاني غير المعنى الاستفهامي المباشر، ثم ليتضامن مع المعطيات السياقية والمقارنة بينها وعكسها وتعاضد الكلمات فيما بينها ؛ إبرازاً لصورة المعاني المنبثقة من جملة الاستفهام الثرية، يثبتها ويهبها الحياة طويلاً ليكون الاستفهام عملية مستمرة متجددة، كلما تلا تالٍ القرآن الكريم، فكان لا بدَّ من إضاءة السياق الذي يصب في هذه البودقة تجاه واحد منهما وكل له معنى من المعاني الثواني التي نص عليها العلماء.

السياق

السعي لإدراك الكوامن النفسية الراجحة وراء الفنون البلاغية ومنها الاستفهام؛ لا تكون بمجرد النظر إليها على أنَّها كلمات تجتمع معا على غير هدى على صعيد مرئي يسمى

جملة؛ لتخرج نصاً يهبك معنى أو تتوهم أنَّه يهبك معنى لا يثبت عند التحقيق؛ بل إنَّ النص أيَّ نص ذو غاية سامية وهو نسيج متكامل من الكلمات التي تأخذ بأيدي بعضها البعض، فتتعاضد لتكون نصاً ذا معنى تكاد تكون بمثابة الكلمة الواحدة من قوة اجتماعها وتداخلها في هذا الكيان الواحد وهذا هو السياق بمجموعه، لأنَّ ((معظم الوحدات الكلامية اللغوية تعتمد في تفسيراتها على السياق الذي تستخدم فيه، وأنَّ أغلبها لها مدى من المعنى أوسع من مدى المعنى الذي يطرق البال أول وهلة))[٢٣]، ؛ و((المعنى المجرد أو أصل المعنى يمكن أن يعبر عنه بأكثر من صياغة أو أسلوب تختلف فيما بينها في إيحاءات المعنى الذي تشترك فيه تلك الأساليب جميعاً، أما المعنى الفني؛ فهو الذي لا يمكن التعبير عنه بغير صيغته؛ لأن المفترض أنَّ مبدعه قد اختار من الصيغ والألفاظ ما هو أنسب للتعبير عن تجربته ومعانيه الدقيقة))[٢٤]. ونرى ذلك ماثلاً في سياق (هل)؛ من حيث اختصاصها بالتصديق فقط[٢٥]، فتكون المعاني متأتية من ترجح أحد طرفي التضاد القائم بين طرفي الجواب عنها، مشبعاً كمال الضدية في الطبيعة التعبيرية لها، فلا تكاد تغادر ساحة هذا حتى تقع في ساحة ذاك والعكس صحيح؛ مما يولِّد تنافراً بين الطرفين وتباعداً ينعكس في الإرادة المحكومة بسياق الاستفهام للمخاطب، فلا شك أنَّ المعاني المجتمعة على طول السياق ستصب في المعنى الثاني المراد المتأتي من ترجح أحد طرفي الجواب سواءً أكان نفياً أو إثباتاً، وهذه هي القوة الكامنة في النتاج الجميل للاستفهام وهي (المعاني الثواني).

معاني هل الثانية

لا يخفى أنَّ الأصل في الاستفهام أن يكون ممن يجهل المستفهَم عنه ويريد من المخاطب إعلامه به، وهو الذي ينتهي زمنه بالجواب عليه، ولا ينبني عليه معنى ثانٍ؛ لأنَّه قائم على جهل المتلقي بالخبر، فالغاية منه إزالة جهل المتلقي دون شيء آخر، وليس هذا شأن كلام الله ﷻ، فكل ((ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أنَّ المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل فَيَسْتَفْهِمُ عنه نفسَه تُخْبِرُهُ به إذ قد وضعه الله عندها... ومعنى ذلك: أَنَّهُ قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه فإنَّ الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنما

يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف))[٢٦].

وبناءً عليه: إنْ كان المستفهِم عالماً بما استفهِم عنه؛ فحينها لا يكون الاستفهام جارياً على أصله، ويقصد منه حينئذ معانٍ بلاغية لغرض يقصده المستفهِم وفي ذلك يقول الخطيب: ((ثم إنَّ هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام))[٢٧]؛ فيجتاز المعنى الأول إلى معانٍ أخرى ليمتد بعيداً في الزمن فلا نهاية له ما دام النص الذي يضُمُّه يُتلا على الأسماع، فتعيه القلوب المؤمنة، فتجيب عن السؤال جوابا متكررا مع تكرر الاستفهام.

وقد تكلموا في معاني (هل) الثانية فذكروا منها: التهديد، والإنكار، والتوبيخ والتقريع والتبكيت... وغيرها من المعاني الكثيرة[٢٨]، ومنهم من أجملها؛ فرأى بأنَّ (هل) ترد في الكلام على أربعة أوجه[٢٩]:

١- **تكون بمعنى «قد» كقوله تعالى:** (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) [سورة, الإنسان الآية:1].

٢- **وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى:**﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾[سورة الأعراف, الآية:44].

٣-**وبمعنى الأمر كقوله تعالى:** ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية:91].

٤-**وبمعنى الجحد كقوله:** ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن، الآية:60].

ومنهم من جعلها في قسمين كبيرين: أولهما بمعنى الخبر وهو ضربان: نفي ويسمى استفهام إنكار، والآخر إثبات ويسمى استفهام تقرير، وتأتي على وجوه كثيرة منها: مجرد الإثبات، والإثبات مع الافتخار، والتوبيخ والعتاب والتبكيت والتسوية ...، والقسم الثاني: بمعنى الإنشاء وهو على ضروب: مجرد الطلب، والنهي والتحذير والتذكير...[٣٠].

ولا يخفى أنَّ المعاني الثواني التي ترشح من سياق (هل) لا تُحدُّ بمعنى واحد أو معنيين، إنَّما يقاس ذلك بحسب ثراء السياق، فمعنى وآخر وآخر وهكذا حتى يأخذ السياق وسعه من المعاني، فكان تقسيمها بحسب المعنى الأول الذي يتبادر إلى الذهن من سياقها.

لكنَّهم اختلفوا في التقاء معانيها مع معاني الهمزة ولا سيَّما في الفارق الدقيق بين دلالتيهما على (التصديق) فمنهم من أثبت لها المعاني الثواني من دون تفريق بينها وبين

الهمزة؛ ومنهم من رأى أن الاستفهام إذا أُريد به الجحد فيكون بـ(هل) دون الهمزة، ويكون بالهمزة إذا أُريد به التقرير أو التوبيخ أو الإنكار أو التعجب[٣١]، ومنهم من أمعن في ذلك حتى جعل ((من معاني الإنكار الذي يستعمل فيه الاستفهام إنكار وقوع الشيء وهو معنى النفي وهذا تنفرد به هل دون الهمزة))[٣٢]، وقد رد عليهم عبد القادر البغدادي (ت1093هـ) بقوله: ((وقال بعضهم: لا تكون هل للاستفهام التقريري وإنَّما ذلك من خواص الهمزة، وليس كما قال))[٣٣].

لكن الناظر المتفحِّص في دلالتيهما يجد أنَّ سرَّ بلاغتهما لا يكمن في تفرد أحدهما بمعنى دون الآخر؛ بل في سبيل الوصول إلى ذلك المعنى وسياقه، ونلحظ هذا في مثالين:

أحدهما: لـ(هل) كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة:فاطر، الآية:3]، فقد قال الواحدي (ت468هـ) عن الاستفهام فيها: ((استفهام توبيخ وتقرير، أي: لا خالق سواه))[٣٤]. والآخر للهمزة كما في قوله ﷻ:﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة يس، الآية:81]، قال عنها ابن عاشور (ت1393هـ): ((وجيء في هذا الدليل بطريقة التقرير الذي دل عليه الاستفهام التقريري لأن هذا الدليل لوضوحه لا يسع المقر إلا الإقرار به فإن البديهة قاضية بأن من خلق السماوات والأرض هو على خلق ناس بعد الموت أقدر))[٣٥].

فكلتا الآيتين معناهما انتهاءً هو التقرير لكنَّ الأولى اقتضت (هل) لتوجد طرفي التضاد في الجواب ابتداء؛ فيحشد في ذهن المتلقي الدليل تلو الدليل بتلمس الناس واقعهم وتدبر شؤونهم ناظرين في مصدر رزقهم فكثير من الناس يطلبون الرزق من غير الله سواء شعروا أو لم يشعروا وصولاً إلى النتيجة المؤكدة (لا) نافياً كلَّ رازق غير الله.

أمَّا الثانية؛ فاقتضت (الهمزة)؛ لأنَّ المقرَّر ثابت والمتلقي بالميل إليه أولى وأحرى ((وإنما وجه التقرير إلى نفي المقرَّر بثبوته توسعة على المقرِّر إن أراد إنكاراً مع تحقق أنه لا يسعه الإنكار فيكون إقراره بعد توجيه التقرير إليه على نفي المقصود، شاهداً على أنَّه لا يستطيع إلا أن يقرَّ، وأمثال هذا الاستفهام التقريري كثيرة))[٣٦]، والناس مجمعون على هذا حتى كثير من الكفار كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية:61].

ولا يتأتى وقوع المعنى الثاني من معاني (هل) في قلب المتلقي إلاَّ بعد أنْ يُثار بالمعنى الاستفهامي الأصل المتبادر إلى الذهن من أول وهلة، وما كان هذا الانتقال إلاَّ لانتزاع موافقات من نفس المتلقي، بقوة استلزام المعنى الجديد الذي استلزمه الحوار بين المستفهِم و المخاطب؛ يقرُّ بها إقراراً بعد معالجة قلبية وفكرية يحمله عليها جمال أسلوب الاستفهام الذي يحرك نفسه ولا يتركها إلاَّ وقد أقرَّت بعد اقتناع، دافعاً بذلك أي شبهة قد تعتري تلك النفس التي إذا أقرَّت من دون ذلك؛ اعتراها نوع فتور تجاه ما أقرَّت به من دون إمعان في الفكر والنظر وتطلب الدليل المؤيِّد.

ولما كانت المعاني الثواني للاستفهام قائمة على معرفة المستفهِم بالمستفهَم عنه أصلاً؛ أدخلها بعض العلماء في باب (تجاهل العارف)[٣٧] ولا شك أنَّ هذه التسمية لا تليق بالخطاب القرآني البتة، فلا يسند التجاهل إلى الله تعالى، وأفضل منه ما سمَّاه به السكاكي بقوله: ((ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا أحب تسميته بالتجاهل))[٣٨]، وهذا السر الكامن وراء الاستفهام.

التهديد

التهديد هو التخويف وهو من الوعيد[٣٩]، ضد الأمن، والإنسان بطبعه مجبول على طلب الأمن من أيِّ خطر قد يهدده، تضاد له طرفان طرف يهرب منه يهدده وطرف يهرب إليه، متوافقاً مع التضاد الكامن في جواب (هل) القائم على: (نعم) و(لا). ونجده في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية:66].

يبدأ النص بـ (هل)؛ لتنشر على طول السياق التضاد القائم على طبيعة الجواب عن السؤال بها؛ فيتلوه المسؤول عنه (ينظرون) بمعنى الانتظار[٤٠]، ترقب هادئ يشبع طرفي الإجابة عن سؤال (هل) ضدية بين نظرين: نظر إلى دائم لا ينقطع ولا تحُدُّه الأسباب المخلوقة وهو النظر إلى المآل الأخير إلى الجنة أو إلى النار وهذا نظر الصالحين، ونظر إلى شيء مؤقت يزول بزوال أسبابه وهو نظر قوم عيسى عليه السلام الذين اختلفوا فيه؛ فقالت فرقة: هو الله، وقالت أخرى هو ابن الله، وأخرى قالت: ثالث ثلاثة[٤١]؛ فظلموا أنفسهم بترك النظر في الدلائل العقلية والنقلية[٤٢] التي ما يتأمَّلها عاقل إلاَّ أوصلته إلى الحق المبين وهو

الألوهية الحقَّة لله ﷻ، والغافل لا ينظر أبعد من شهوته، لكنَّهم في نظرهم المحتوم الذي لا مفرَّ منه ((فكأنهم يرتقبونها، وإنْ كانوا أمواتاً فهم أيضاً يرتقبونها))[٤٣]، ولا ينتظرون غيرها[٤٤] في استمرارية تعكسها المضارعة في (ينظرون)، متوافقاً مع لحظة السكون في حال الترقب المستكين الوَجِل دون وثاقة في نظر دائم من جمع إلى جهة واحدة، يظهر جلياً من غير (التاء) في (ينظرون) بتأمل وهدوء بغية معاينة المنظور؛ فهو أسير وقت مجيئه[٤٥] إنْ لم يكن في واقعه الغافل ففي حقيقة المآل، ولو كانت (ينتظرون) لكانت لهم حيلة لكنهم (ينظرون) فقلوبهم وعقولهم ركنت إلى العين التي هي الحاكمة الآن والتي تناسب التضاد (ينظرون أو لا ينظرون)، والتعبير بالغيبة، فهو تحكيم للسامع في حال مشاهدةٍ ممَّن عاصرهم أو من أي سامع وهو كلٌّ من تطرق سمعه هذه العبارة؛ لأنَّ ((الضمير لقوم عيسى أو للكفار))[٤٦]، تكثيراً لجهة المؤيِّدين؛ لأنَّ المسؤول لابد أنَّه مؤمن بهذا السؤال عن مصير الانتظار؛ فيكون الاستفهام إنكارياً، تقريعياً، تهديداً، ينكر على المشركين موقفهم هذا، من الإيمان باللّه وبرسوله[٤٧]،

فالإنسان لا يُعَدُّ مهدَّداً إنْ كان لا يؤمن بقوة وصحة ما يهدده، ؛ فيندفع عدسة الذهن إلى الاختيار بين المنظورات ولا يعظُم النظر إلاَّ بعظم المنظور؛ ليجد أنَّه لا ثبات في الحقيقة إلاَّ لمنظور واحد؛ فيرجح (لا ينظرون)، والاستفهام للنفي[٤٨]انتهاء، فليس الفضل للنفي ابتداء فلا يحسن أنْ نقول (هل) للنفي ابتداء وإلاَّ لكان التعبير:(لا ينظرون...) فيضيع إقامة التضاد الذي يستجر النفي من المتلقي ويجعله مشاركاً في الإقرار بهذه الحقيقة، فتأتي (إلاَّ) لتتوج سياق معنى النفي، فيكون ما بعدها هو المقرَّر من جهة المتلقي، الثابت واقعاً، وهي (الساعة) فلا يثبت في النظر الصحيح إلاَّ هي، التي غفلوا عنها لاشتغالهم بأمور دنياهم[٤٩]، فتقتحم عليهم هدوءهم المزعوم باستحضار صورة إتيانها المهولة واستمرارها[٥٠] المهيمنة عليهم، وسرعة ما يحصل فيها[٥١]، وخفاء أمرها وزمان قيامها لتكون أخوف في الإنذار والتخويف[٥٢]، ويزيد من خفائها (بغتة) المفاجئة[٥٣] التي تقُض مضاجعهم في حلول آنيٍّ[٥٤] مفاجئ يزيد من هولها تأكيدها بالحال (وهم لا يشعرون[٥٥])، فتكون أبلغ في الفجأة؛ لتنسيهم آثار كل نظر غير النظر المثبت الذي ثبت أكثر فأكثر من حيث تعلق مصير الإنسان بها من السعادة والشقاء فصارت هي المنظور الأصل. وهذا ديدن كل كافر وضال فإنَّه وإنْ لم يعمل بما ينجيه في الآخرة فهو في قرارة نفسه خائف

وَجِل من مصير وإنْ تناساه يوماً أو أياماً، فسيذكره في كل أمر إذا أعمل فيه ذهنه؛ صدمه بحقيقة مآله ومنتهى عمله وسعيه.

الإنكار

لا يكاد يكون الاستفهام الذي بمعنى النفي نفياً محضاً إلاَّ ويشوبه نوع من الإنكار والتقرير الذي يكون إقراراً من جهة المتلقي، و((الاستفهام على سبيل الإنكار إنَّما يتوجه على كلام باطل))[٥٦]، وقد أشار إلى هذا محمد ابن عاشور بقوله: ((إنَّ من معاني الإنكار الذي يستعمل فيه الاستفهام إنكار وقوع الشيء وهو معنى النفي، وهذا تنفرد به (هل) دون الهمزة))[٥٧]؛ ((لأنَّ منكر الشيء إنما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده، فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا، والنفي إيجابًا))[٥٨]. استفهام يصل إلى الإنكار من حشد الدليل تلو الدليل؛ ليأخذ بيد المتلقي فيصل به إلى الإقرار بصحة الإنكار في المنكَر عليه، ونراه في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية:38].

إخبار شرطيٌّ للرسول ﷺ وجوابه عن سؤالهم عمن خلق السموات والأرض؛ ليكون الجواب بالإقرار ثابتاً حاضراً في ذهن كل متلق عاقل أنَّه الله تعالى خالق السموات والأرض ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ متلوًّا بأمر الرسول ﷺ بسؤالهم عن رؤيتهم لما يعبدون من دون الله (أَفَرَأَيْتُمْ)، بدعوة إلى مقارنة بـ(رأى) القلبية، لتشعرهم بضآلة ما يعبدون من دون الله تبارك وتعالى باستفهام بالهمزة ليهجس في النفس إثباتها؛ فهم أعرف الناس بها وقد عاشوا حياتهم يعبدونها، ويقدمون لها القرابين؛ فهي صورة مرسومة في أذهان الكفار دون جهد؛ مبدوءاً بـ(الفاء)التعقيبية التي تشعر بفورية انباء الرؤية القلبية على الإقرار المذكور آنفاً، مع استحضار صورة العبادة بالفعل المضارع، وتحقير المعبود من دون الله باجتماع (ما) مع (دون) تهيئة للشرط المتعلق بسياق (هل) سياقان متضادان في الأثر محكومان بالنفي والإيجاب ليحكيا هذا التضاد، فالأول منهما إرادة الضر بالعبد (إِنْ أَرَادَنِيَ...) ابتداء بتضاد قائم بين الإيمان بالله الأحد وهو أصل الخير المحض وبين المخلوق الذي لا يضر ولا ينفع، فلا تعلق له

بضر أو رحمة إلاَّ بمقدار ما قسم الله له، ولا يكون الضر من الله لعبده إلا لفائدته؛ فتأتي (هل) في تركيب استفهامي إنكاري عن قوة ما يعبد من دون الله في اختبارين مضمنين في جواب هل ليكون الاختبار الأول: (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) لترسم التضاد القائم أصلاً على ما ذكر آنفاً؛ بين نعم ولا في طرف من التضاد طرف مشار إليه بـ(هُنَّ) تحقيراً له وتعجيزاً[٥٩] لكاشف الضر المزعوم، لتصير بضدٍّ مع خبرها (كاشفات)[٦٠]اسم فاعل دال على الثبات مع استحضار الفاعل ملتبساً بفعل الكشف مضافة إلى (ضره) دالة على المضي الذي يصور فعلاً متحققاً ماضياً عند بعض المشركين، ولعلهم من الذين يؤمنون بباطلهم من المعبودات غير الله ﷻ تمام الإيمان وإنْ خيبت آمالهم، ولم تُلَبِّ مراد أهوائهم، وهم أسوأ القوم، وتقوى في المضي أكثر بضدها الاستقبال في (هل) إذن هي ثقة كبيرة في الكشف المستقبل، مع جمعها جمعا مؤنثاً ((على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيهاً على كمال ضعفها))[٦١]، يصورهن مجتمعات تتقوى على كشف ضر واحد مع ما في الكشف من حسية تستحضر شاهداً من كل ذي عين وبصيرة، خبر لا يقوى المبتدأ على تمكينه من نفسه ويأبى الثبات في حال الجواب ليكون (لا)، فيطرد من أذهانهم العليلة كل سبب يكون هو الكاشف لذلك الضر من دون الله وهيهات، فهذا كلُّه تقوية لجانبها المتضاد حتى إذا نفيت وسقطت كان سقوطها مدوياً إثباتاً للجانب الآخر من التضاد وهو الجانب الحق؛ ليكون الجواب بإنكار: لا تكشف ضرا أبداً.

أو نجد (كاشفاتٌ) عاملة عمل فعلها؛ لتدل على الاستقبال، ليتوافق مع الاستقبال في سياق (هل)، ولعلهم من المشركين الذين لا يثبت لهم حال يميلون بحسب مقتضى مصالحهم، فالجواب معلق عندهم بمعاينتهم للكشف وهيهات إلاَّ إنْ كان استدراجاً لهم، وبه يصدقون عقيدتهم الباطلة.

ثم تأتي الصورة الأخرى مبتدأة بـ (أو) لتفصل بين الإرادتين في عدسة الذهن وإنْ كانتا واحدة من حيث المُريد وهو الله عز وجل، متباينتان من حيث المراد منحية الصورة الاولى، فيتم التركيز على هذه اكثر (أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ ...) فكل من الصورتين مستقلتين تماماً ومتضادتين تماماً فالأولى ضر والأخرى رحمة فتسهم (أو) في إبراز كل من الصورتين على حدة إبرازاً عظيماً لتضيف تضاداً آخر بين (نعم) و(لا) في طرف من التضاد طرف مشار إليه بـ (هُنَّ) تحقيراً له وتعجيزاً مع خبرها (ممسكات) اسم فاعل دال على ثبات

المعنى مع الإضافة المشعرة بالمضي؛ ليدل على تحقق الفعل؛ لكن إسناد خبر بهذه القوة إلى مبتدأ واوٍ في سياق (هل) يثير كوامن الإنكار عند المتلقي، ورفض لهذا الإسناد؛ ليلقي بنفسه إلى الإجابة المتوقعة؛ فيستل الإنكار من نفس الواقع في ذلك الفعل الأثيم.

أو نجد (مُمْسِكَاتٌ) عاملة عمل فعلها[٦٢]؛ لتدل مثل أختها على الاستقبال، فتوافق الاستقبال في سياق (هل)، فيكون حالهم حال القسم الثاني من الكفار وهم أصحاب المصالح يميلون حيث مالت.

سؤالان مدثران بالتعجب من حال المتعلق بغير الله ثم الإنكار عليها؛ من سياق الميل والهاجس؛ مع الإنكار والتحقيق في (هل)[٦٣]؛ لتورثها قوة في التقرير؛ لتقوى النتيجة أكثر وترسخ في أذهانهم فتبعد النتائج الأخرى، فكل نتيجة ثبتت غير هذه النتيجة الصائبة الحقة فمصيرها إلى الهلاك وترك الاعتقاد بها، ولا يخفى ما في التضاد الكامن في جواب السؤال بـ(هل) من قوة في إثبات الجواب المختار؛ لتكون ثمرة النفي في كليهما هو إثبات الحق الحقيق: وهو أنَّ الله عز وجل وحده هو الذي ينشر رحمته وهو الذي يكشف الضرَّ إذا أصاب الإنسان منه شيء؛ لذا كان الأمر له بأن يكون جوابه ﷺ فيما نقله عنه ربه تعالى:﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية:38]، فالله هو الكافي والتوكل لا يكون إلاَّ عليه، نتيجة حتمية لاجتماع جانبي التضاد في الضر والرحمة وإثباتها لله ﷻ فقط.

التوبيخ والتقريع والتبكيت

التوبيخ وهو اللوم الشديد؛ لذا قالوا: التوبيخ التقريع بالذنب، والتقريع في أصله ضَرْبُ الشَّيْءِ. يُقَالُ قَرَعْتُ الشَّيْءَ أَقْرَعُهُ: ضَرَبْتُهُ[٦٤]، ومن هذا المعنى الحسي، كان معناه العقلي: ((أَن يَقُولَ الرَّجُلُ فِي وَجه الرجُل عَيْبَه))[٦٥]، كأنَّه يضربه في وجه، أما التبكيت؛ فهو الْغَلَبَةُ بِالْحُجَّةِ، وأَن تسْتَقْبل الرجل بِمَا يكره، وكذلك التَّقْرِيعُ والتَّوْبِيخُ[٦٦]، وهذه معانٍ ذهنية متقاربة دلت عليها التبكيت كلها[٦٧].

ولا تكاد هذه المعاني (التوبيخ والتقريع والتبكيت) تنفك عن بعضها؛ فهي حكاية لما ينجم عن موقف معين بمراحل ابتداء من اللوم الشديد وهو التوبيخ، ليكون أخيراً تقريعاً، فوقع ما يكرهه الإنسان عليه مثل الضرب الحسي؛ فيواجه المخطئ بما يكره وهو التبكيت

فيشتد الأمر عليه مع اشتداد ذلك؛ فتغلب الحجة عليه انتهاء، ونراه جلياً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة غافر، الآية:47].

رعب هائل يسود جو المتخاصمين المتحاجَّين في صورة مستحضرة (يَتَحَاجُّونَ) يلفهم النار من كل جانب، هما خصمان: خصم ضعيف تابع ذليل يتبع سيده مؤكِّداً تبعيته (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا)، فيرى حقاً ما يراه سيده ويرى باطلاً ما يراه سيده، فهم بحق (الضُّعَفَاءُ) وهو الضعف المذموم وكانت اسماً دلالة على ثبات ضعفهم حتى في الآخرة؛ ليسألوا عن إغناء المستكبرين لهم نصيبا من النار، والخصم الآخر (الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) وهم المتبوعون الذين (اسْتَكْبَرُوا) عن الحق، بصيغة الماضي، فقد خسروا عامل استكبارهم بعد معاينتهم للحق، فلا يستكبر الإنسان إلاَّ وهو مستند إلى قوة، ليبغتهم سؤال الضعفاء بقوة (الفاء) الفورية (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ)، في توبيخ صارخ بـ (هل) التي ترسم في الذهن مسارين متضادين بجوابين: (نعم) و(لا)، والسؤال واقع على الجملة الاسمية (أَنْتُمْ مُغْنُونَ) باسمية خبرها لتشعر بثبات إغناء المخاطب، ولا سيما أنَّ سياق الكلام عن فرعون ومدى استكباره متجها نحو تأييد طرف الجواب نعم؛ فيقوى التضاد بين طرفي الجواب، ولا سيما أن مراد الإغناء (نَصِيبًا) ولا شك أنَّ إغناءهم جزءا من النار أسهل من إغنائهم عنها كلها، فتذهب عدسة ذهن المغني إلى تأييد طرف الجواب (نعم)، لكنَّهم يتأملون النار فما يجدون فيها ملاذا ولا مغيثا ولا جزءا منها فيه بعض الأمن؛ فيشعرون بالحجة تضرب وجوههم تقريعاً؛ لينقلبوا بقوة إلى جانب التضاد (لا) فيكون جوابهم:﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [سورة غافر، الآية:48]، فقد غلبوا بالحجة تبكيتاً[٦٨]، ومنهم من رأى أنَّهم يطلبون رفع بعض العذاب عنهم، وتحمل بعض لأن مؤنة الأتباع في العرف يتحملها المتبوع[٦٩]، وهذا يلزم منه أنَّهم كانوا يرون بعض الأمل في نجاتهم، وهذا بعيد جدا كما لا يخفى؛ لأنَّ من حق عليه العذاب يوم القيامة، قد عرف ما هو فيه فلا ينتظر عونا؛ لأنَّهم كانوا تبعا في الكفر بالله[٧٠]، والسياق سياق توبيخ وتقريع على ما مضى والسياق الاخر يقتضي تلطفا ولا تلطف هنا أبدا ويؤيده ما ذكره أحد الباحثين من أنَّ الاستفهام للتقريع والتفجع[٧١]، فهم متألمون جدا لأنَّهم صاروا إلى هذا المصير، قد علم الضعفاء الأتباع أنَّ المتبوعون لا يستطيعون دفع الضر عن انفسهم ولا

عن غيرهم لكنهم قالوا ذلك لهم ليزدادوا حسرة وندامة[٧٢]،((فمحاجة بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم، فكما يعذّبون بنفوسهم يعذبون بضيق صدورهم وببغض بعضهم لبعض))[٧٣]. فتأتي من المتبوعين صارخة لا نغني عنكم...أبداً.

ونجده أيضا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النمل، الآية:90].

صورة مؤلمة لأصحاب السيئة (سيئة الشرك والكفر والتكذيب)[٧٤]، وكفى بها سيئة تختم على غيرها، فكل السيئات يمكن أنْ تغفر الا الشرك بالله ﷻ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء، الآية:48]،

يبدأ الشرط فيها بفعل الإتيان بالسيئة، فتسوؤه بكليته ليتوافق مع النار السيئة، فتكون سرعة الكب في النار على وجوههم وهي أكرم جزء في الإنسان، فتكون الإهانة والألم اكبر، وتأتيهم هل من خزنة جهنم في الآخرة[٧٥] سؤالاً واقعاً على (تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الفعل المضارع (تُجْزَوْنَ) مفصولة عن مفعولها ليذهب الذهن في رسم معالمه كل مذهب؛ فيجتمع فيه كل ما يمكن أنْ يكون جزاءا خيرا كان أو شرا، فيميل ذهن المتلقي وقلبه إلى خيرية هذا الجزاء؛ ليكون التضاد قويا بين طرفي الجواب (نعم) و(لا) ينشد طرف النجاة من هذه النار الكبرى، فيواجه ب الا لتمحو كل اثر لمفعول قد يتخيل غير داخل في مفهوم ما بعد الا بقوة الحصر فيها ليكون الجزاء بسبب ما يعملون وهو الشرك، فما يبقى في عدسة الذهن إلاَّ الشرك، فتضطرهم هل إلى معنى النفي[٧٦]، لتكون محصلة السياق اثباتا لسبب واحد شرير لمصيرهم البائس هذا فقد غلبوا بالحجة تبكيتا لان الانسان يحصد ما قدم والجزاء من جنس العمل وقد كان عملهم ما يسخط ربهم ﷻ[٧٧]، وقد ضربوا على وجوههم حسا (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ) وعقلا بنهايتهم السوداء، و((الاستفهام... لزيادة توبيخهم وتقريعهم))[٧٨]، وكفى به تقريعا، ويستمر توبيخا لكل من يسقط في هذه الرذيلة (الشرك) إلى يوم البعث لا ريب فيه.

التهكم والسخرية والاستهزاء

التهكم معنى يدل على((تَفَحُّمٍ وَتَهَدُّمُ، وَهَكَمَ هَكْمًا: تَقَحَّمَ عَلَى النَّاسِ وَتَعَرَّضَهُمْ بِشَرٍّ. وَالتَّهَكُّمُ: التَّهَزُّؤُ، وَتَهَكَّمَتِ الْبِئْرُ: تَهَدَّمَتْ.))[٧٩]، وكأنَّه يلقي بثقله كله على المتهكم به ليؤذيه، و((التهكم:

الاسْتِهْزَاء))[٨٠]، أمَّا السخرية؛ فتدل على ((عَلَى احْتِقَارٍ وَاسْتِذْلالٍ))[٨١]، أمَّا الاستهزاء ؛ فهو((الإيهام لما يجب في الظاهر والأمر على خلافه في الباطن على جهة الاغترار))[٨٢]، ويَقْتَضِي تحقير المستهزأ بِهِ، واستهزأ به: إذا تعجب منه منكراً عليه[٨٣]، وقد فرقوا بين السخرية والاستهزاء فقالوا: ((قد يفرق بينهما بأن في السخرية معنى طلب الذلة ... لأنَّ التسخير في الاصل التذليل. وأما الهزء: فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول))[٨٤].

ولا تكاد مجموع هذه المعاني تنفك عن بعضها البعض؛ لأنَّها تتآلف لترسم صورة مجموعة من أجزاء لموقف معين، مرسومة بالاستفهام بـ(هل)، تبدأ من الهجوم على أحدهم بما يؤذيه، ثم احتقاره والتقليل من شأنه، طلبا لإسكات ما قد يمثله المتهكم به حتى لا تقوم له قائمة ، وهو سلاح أمضى من السلاح الحسي في كثير من الأحايين، ونجد ذلك جليا واضحا في أمر الله ﷻ للنبي ﷺ أنْ يسأل الكفار عن الأخسرين أعمالاً، فيقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [سورة الكهف، الآية:103 – 106].

يبدأ النص بـ(قُلْ) فالرسول ﷺ هو المواجه لهم؛ ليشعرهم بمقابلة الند بالند، ولأنَّ القائل معروف عندهم بالصدق والأمانة مهما ادعوا فيه بخلاف ما ذكر آنفاً، ليكون السؤال بـ(هل) التي ترسم في الذهن ابتداء التضاد القائم بين طرفي الجواب، فيزيدهم انتباها، ويلفت أنظارهم إلى ما سيلقى عليهم[٨٥]، و(نُنَبِّئُكُمْ) بالجمع لعظمة النبأ والمنبِّيء واحد، وإيغال بالأعمال في أخسر ما يكون، وهم على ذُكْر أنَّهم ليسوا على وفاق مع منبِّئهم ﷺ، لتجتمع كل هذه فتندفع أنفسهم لتصرخ عاليا (لا) فهم لا يحبون (نعم) هنا، فقد خلت قلوبهم من منبَّأً غيرهم؛ لكن لا خيار لهم فلا بد من التنبئة، فهو إذن عَرْضُ تَهَكُّمٍ لأنَّه ﷺ مُنبِّؤهم بذلك دون توقف على رضاهم[٨٦]، والكلام يوحي لأول وهلة أنَّه استئذان ولا يخفى على أحد أنَّ المستأْذَن منه لا يستأذن إلاَّ لنوع تمكن منه في شأنه بخلاف حالهم، فهو استئذان وقع معناه في أوهامهم فقط يورثهم خيبة الأمل كما قال الآلوسي:((وإذا حمل الاستفهام على الاستئذان كان فيه من التهكم ما فيه))[٨٧]، ليأتي الجواب سريعاً يصب في

طرف الجواب المتضاد (نعم) فهم يعرفون مصيرهم وما الذي جعلهم الأخسرين أعمالاً (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فالسعي مهما كان متعبا وشاقا فهو هباء من دون هدف يُعتَدُّ به، ولاسيما أنَّ صاحبه يحسب أنَّه يحسن صنعاً في سلك هذا الدرب (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)، ليكشف بذلك عن المجرمين، وعن الطريق الذي ركبوه، حتى وصلوا إلى هذا الذي هم فيه من كفر وضلال[٨٨].

وفي حال أخرى للمجرمين نراهم كيف يمعنون في إجرامهم، طالبين الدرك الأسفل من النار في الآخرة، بأعمالهم الدنيئة، فيقول الله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ، الآية:7].

قول الكفار الأثيم في رسول الله ﷺ: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بمضي الفعل إشارة إلى تحقق الكفر فيهم وثباته، ثم (هل) ليبدأ تضاد طرفي الجواب، ليقع على (نَدُلُّكُمْ) بالمضارع لاستحضار صورة الدلالة من جمع لجمع على مفرد، فهم جماعة يدلون جماعة مجتمعون في الغي مثل الشياطين يؤزون بعضهم بعضاً، ليقعوا من ثم على الدلالة مبتغاهم بقوة (على) كأنهم ينقضون على صيد لابد لهم من أذاه بما وسعهم من أنواع الأذى، فهم لا يرون له شأناً فهو (رجل) نكرة لا يُعرف – حاشاه ﷺ – كما يزعمون، فكأنَّهم ((لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رجل ما))[٨٩]، مع أنَّه ﷺ كان مشهورا علَماً في قريش، وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم، لكنَّهم نكروه لهم، وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول، قاصدين بذلك السخرية، فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره[٩٠]، وكان من تمام احتقارهم لهذا الـ(رجل) أنهم قالوا ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سورة سبأ، الآية:8]؛ لأنَّهم لا يرون لقوله في الحقيقة من نصيب ((فيتكلم بما لا معنى له))[٩١]؛ لذا كان منهم هذا تعجباً وإنكارا[٩٢]؛ لينهالوا عليه بالاستهزاء؛ لأنَّ الدلالة عليه ليست دلالة رفع شأن؛ بل هو للحط من شأنه، يسخروا منه ليجعلوه محطَّ أنظار المحتقرين، ((وأدمجوا في الاستدلال التعجيب من الذي يأتي بنقيض دليلهم ثم إرداف ذلك التعجيب بالطعن في المُتَعَجَّبِ به))[٩٣]، ولاسيما أنها صورة مستحضرة (يُنَبِّئُكُمْ)؛ ليناسب مقام الوقوع المتمثِّل بـ(على)؛ فتكون جماعة كفرت وثبت كفرها تُنبَّأ الآن من رجل واحد؛ بما يضادها فيكون

الواحد ضعيفاً أمام الجمع غير مكين تهيئة للسماع ولا يخفى ما في معنى (نبأ) من انتقال الخبر من مكان إلى مكان آخر[٩٤] ليحفزهم لمواجهة هذا القادم من رجل قد وقفوا في وجهه وقفة رجل واحد، ثم (إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) لتمام التمزيق فلا يدع موضعاً في جسد الواحد منهم حتى يمزقه، فتحمل قوة في تحقيق الموعود به[٩٥]، يعكس قوة في الاستهزاء به، صورة تنشيء تضادا مع الصورة الآتية، وهي: (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) بأداتي التوكيد (إنَّ + ألـ الابتدائية) وهو حكاية لقول رسول الله ﷺ[٩٦]، لتأكيد إيجاد الخلق الجديد من بعد موتهم وتمزقهم، مع ما فيه من قوة الإحاطة بجدة الخلق بـ(في) الظرفية.

ليكون هذا التضاد هو الأساس للتضاد بين طرفي جواب (هل)؛ لأنَّها تمهد وبقوة لـ (نعم)؛ لأنَّهم كفار حاقدون، يؤيدهم عدم إيمانهم أصلا بالبعث؛ ((طمعاً منهم بأنها تصرف الناس عن النظر في الدعوة تلبساً باستحالة هذا الخلق الجديد))[٩٧]؛ فكانت نتيجتهم: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سورة سبأ، الآية:8].

الأمر

لا يخلو الإنسان في فعل ما من أن يفعله من نفسه مختاراً له أو أن يؤمر به، فيفعله بإرادة مأموره على جهة الاستعلاء[٩٨]، لكن الأمر من جهة (هل) مختلف، لأنَّه يشرك المتلقي في إيقاع الفعل، فله نصيب فيه من جهة كونه مأموراً به، فينالـه شيء من الخيرة، فيملك بعضا من زمام أمره، وبذا يكون مسؤولاً شيئاً ما، بعيدا عن الفعل المطلق المجرد الواقع بعد أمر محض، فإشراك المأمور في شيء من إرادة الأمر يدخله في دائرة الاعتبار والتفكر فلا يخلو من إجالة فكر في المأمور به وهذه حال الأمر بـ (هل) الاستفهامية، ونراه جليا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية:91].

يبدأ النص بـ (إنَّما) أداة قصر تستجمع عقل المتلقي على معنى واحد لا يغادره إلى غيره، (يُرِيدُ الشَّيْطَانُ) المقصور إرادة شريرة خالية من نفع، فلا خير فيه أبداً لتعلقه بأصل الشر، مستحضرآ صورته بالمضارعة فهي ارادة مستمرة حتى تنقطع رغم أنفه إذا قامت القيامة، فلابد أنْ يقصر على شر محض مثله وهو أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء

باستحضار صورة الإيقاع بالمضارعة في الشرين (الخمر والميسر) مع ما يضادهما من ألفة الناس لهما فقد((كان ذلك مألوفاً لهم محبوباً عندهم، وكان ترك المألوف أمرَّ من ضرب السيوف))[٩٩]، ثم (يَصُدَّكُمْ) أيضاً بالمضارعة لاستحضار صورة الصد عن ذكر الله ﷻ وعن الصلاة، إذن هي صورة مركبة من إرادة شريرة يقابلها نتاجها الشرير صورتان مستحضرتان ليعكس استمرارية السبب والنتيجة، إنَّها تهيئة لتضاد طرفي جواب (هل) (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) صورة متجددة لذلك الشر الشيطاني الحاضر في كل حين وأوان، لكن يباغتها استفهام بالفاء الدالة على الفورية يجر المتلقي الواقع في ذلك الشر، أومن قد يقع فيه إلى أن يكون له سهم في بدء انتهائه عن الدرب الوبيل.

وتقع (هل) على (أنتم) لجمع المخاطبين المؤمنين بهذا القرآن مخبر عنه باسم فاعل جمع (منتهون) وتكون الجملة اسمية لتدل على ثبوت النهي واستقراره[١٠٠]، ومن ثم على ثبات الانتهاء من جهة الخير ليقابل الشر المتجدد، بدفع المتلقي دفعا وهو يرى حاله وما وقع فيه من الضلال إلى الاعتبار والتفكر في حاله، فيكون ((استفهامهم عن مبلغ أثر هذا البيان في نفوسهم ترفيعا بهم إلى مقام الفطن الخبير))[١٠١].

وهي حريَّة بنتهائها والتحول عنها، قال ابن عاشور: ((فدلَّ (هل) على أَنَّهُ سائل عن أمر يريد أن يكون مُحَقَّقاً كأنَّه يرغب في حصوله فيغريهم بإظهاره حتى إذا عجزوا كان قطعا لدعواهم))[١٠٢]، وإيذاناً بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشفِ ما في هذين المنكرين من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وأن الأعذارَ قد انقطعت بالكلية[١٠٣]، فهو اذن أمر[١٠٤] من حيث أن الله دلَّه على مكمن الدواء وهو الانتهاء عن الغي، فكان ذلك ((جاريا مجرى تنصيص الله تعالى على وجوب الانتهاء مقروناً بإقرار المكلف بوجوب الانتهاء))[١٠٥]، فيندفع السياق كله إلى طرف الجواب (نعم)، ويرى المتلقي شاهدا من نفسه ومجتمعه، وما فيها من هذه المنكرات؛ فيرعوي عن غيِّه وينتهي، وله نصيب فيه من حيث أنه أخضع نفسه بعد الاعتبار والتدبر لهذا الأمر.

التلطف

((التَلَطُّفُ للأمر: الترفُّق له))[١٠٦]، ويدل في أصله على رفق ويدل على صغر فِي الشيءِ[١٠٧]، والتلطف وسيلة الإنسان في نيل مراده، فحينما تكون لامرئ حاجة في

موضع ما، أو عند أحد ما فإنَّه يرق ويلين ويرفق في طلبه، وإنْ كانت نفسه تزعجه وتدفعه إلى طلبه دفعاً، لكنه يرفق ويلين ليسهل دركه، ويخفَّ طلبه؛ وبذا كانت دلالة (هل) على التلطف، فهي تشرك المخاطب فيما يريده المتكلم، فتكون إرادتان متحدتان مع رقة ولين: إرادة تعطي وهي راضية مطمئنة، لأنَّها قد اشتركت شيئاً ما في المطلوب، وإرادة تأخذ وقد اطمأنت أنها ليست وحدها فيما أخذت؛ بل هو في شفاعة من المعطي نفسه، ونجد هذه الصورة الجميلة في كلام الله ﷻ ترسم لنا التلطف في أبهى صوره: بين نبي متواضع (وهو موسى عليه السلام) يريد التعلم وعبد صالح حريص على التعليم بإذن الله ﷻ، فيقول تعالى حكاية عنهما: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [سورة الكهف، الآية:66]. بدأ النص من فوره بـ(هل) لتنشر في جو النص تضاد طرفي الجواب: (نعم) و(لا)، ثم (أَتَّبِعُكَ) استحضار صورة طلب الاتباع، وهو((سؤال الملاطِف والمخاطب المُسْتَنْزِل المبالغ في حسن الأدب))[١٠٨]، بقرينة تعبيره عن المصاحبة بالاتباع، ولا تكون الصحبة إلاَّ باتفاق النفوس، وتلاقي القلوب[١٠٩]، لتحضر معها صورة المتعلم المتواضع أمام معلمه المحب له، وليكون الاتباع (على) فهو اتباع سينبني على أساس متين، فلا يحيد عن هذا الحال أبداً[١١٠]، فهو كحال الملتزم والمتعاقد على شيء لا يبرحه[١١١] في صورة (أَن تُعَلِّمَنِ) باستحضار صورة التعلم مع ياء المتكلم المشعرة بتجدد المبني عليه ليواكب الاتباع المجدد، إذن هو اتباع مستمر طوال زمن المرافقة لا تغيب عنه لحظة في غير ذلك الخير وهو (مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) من تعليم سابق رشد لا يدخله دخن أوخطأ، فقد علمه الله عز وجل، سياق ملؤه استحضار الصور (الاتباع + التعليم) لتكون تحت عيني المتلقي وعنايته، فيرفق المعلم ويلين فيندفع إلى طرف الجواب (نعم) من (هل)، إنَّه تلطف يليق بمقام الطالب والمطلوب.

العرض

أعرض لك الشيء: إذا بدا كأنّه ولاَّك عُرْضَهُ[١١٢]، والعرض طلب برِفق ولين وتأدّب[١١٣]، فيكون ((وهو أنسب المعاني المجازية للاستفهام لقربه من حقيقته))[١١٤]؛ بعرض الحاجة أمام المعروض له بأرفق ما يكون، ليرى رأيه فيه، فيتأمل منه الفكر ويستثار منه القلب

والنفس، فيخلد إلى رغبته إذا وجد توافقاً، فيقبل بالمعروض عليه دون توان فلا يخلو العرض من رفق وتقرب للمتلقي وترغيب بذكر بعض ما يجذب نفسه إلى المعروض.

وهكذا العرض بـ(هل) سؤال يعرض حاجة بأرفق ما يكون، مخيراً المتلقي بين (نعم) (ولا)؛ فينجذب المتلقي إلى المعروض ليتأثر به إيجاباً ماثلاً في رغبته بجمال العرض وأسلوبه، فيندفع إلى (نعم) ليكون له النصيب الأكبر فيها وهذا ما فعله الشيطان لعنه الله مع أبينا آدم عليه السلام، أخرجه من الجنة، وهذا سياق خديعته وعرضه الخبيث:﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [سورة طه، الآية:20].

بسرعة الفاء حرصاً على ضلاله بهدوء وتؤدة (فَوَسْوَسَ) وهو الصوت الخفي وما يلقيه الشيطان في القلب[١١٥]، متوجه إلى آدم عليه السلام بـ (إلى) التي لا تخطيء هدفها وفحواه (قَالَ يَا آدَمُ) بنداء البعيد ليأسر انتباهه و((الافتتاح بالنداء ليتوجه إليه))[١١٦]، ثم (هل) لتنشر في جو النص تضاد: (نعم) و(لا) و(أَدُلُّكَ) باستحضار الدلالة، لينال لذة الحظة الآتية، ولا لذة للذة بعد انقضائها لينضم إليها (عَلَىٰ شَجَرَةِ) بقوة (على) للوقوع على (شجرة[١١٧]) فهي معثور عليه مرغوب فيها ولاسيما أنها (الخلد) و((سماها هنا شجرة الخلد بالإجمال للتشويق إلى تعيينها حتى يقبل عليها))[١١٨]، ولا يخفى ما فيها من الدلالة على الثبات والديمومة والنمو المناسبة لمعنى (الخلد) ولا يخفى أنَّ هذه آمال كل مخلوق، فكثير يطلب عدم الموت، ثم الثاني من المرغوبات (مُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ) ملك يحكم ويملك به بديمومة (لا يبلى)، وهو الآن في الجنة موضع كل طيب ((وهو يُوهِمُ آدم أنه يصير هو المالك للجنة المتصرف فيها غير مأمور لآمر))[١١٩]، سياق يعرض فيه كل مرغوب ومحبوب؛ لأنَّ الاستفهام للعرض، ليكون صورة عن استقرار محبة الحياة في جبلة البشر؛ وبذا خلا كل سبب أو مانع يمنع المتلقي (وهو آدم عليه السلام) من طلب الدلالة؛ فيندفع إلى طرف الجواب (نعم) مأخوذاً بقول الخبيث وفعله وهذا ديدنه الشرير، فوقعت المصيبة وأكل من الشجرة، وأخرج من الجنة، آملاً الرجوع إليها من جديد.

التحضيض

الحض في أصله هو البعث على الشيء، والتحريض عليه[١٢٠]، وهو طلب بِحَثٍ وعزم والعرض أرفق منه[١٢١]؛ فهو إذن شيء يريده المتكلم، حريص عليه، فيدفع المتلقي إليه

دفعاً بترغيبه فيه، ويجعله متعلقاً بأمر لا بد من تحقيقه لدرك الغاية ونيل المراد ليقع المتلقي عليه وقوع المريد المتشوق، ليتفقا الحاض والمحضوض في إرادة تلك الغاية، أما (هل)؛ فتضيف أمر آخر بإشراك المتلقي في حضّ نفسه بإيراد المتكلم الدليل تلو الدليل على صدق دعواه، ليدفع المتلقي دفعاً إلى قبول عرضه ليكون الجواب (نعم) ليتم الحض ويقع أثره، ونجده في حكاية الله ﷻ عن فرعون وطغيانه وصراعه مع موسى عليه السلام الذي ظهرت معجزة الله على يديه من تحول عصاه إلى ثعبان: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية:34-39].

فيقول الله تعالى حكاية عن هذا الطاغوت: (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ...) ابتداء بالتوكيد إثباتاً لصفة السحر للنبي ﷺ مع (علم) لاستعداء الناس عليه ثم يزيد في التهمة (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) ليجعل هذا السحر سبباً في إخراجهم من أرضه، ليسألهم سؤالاً قد هيَّأه للجواب الذي يريده (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) باستحضار صورة أمرهم المزعومة والموهومة يهبهم نشوة مكذوبة، ليأمروا سيدهم ليجيشوا حقدهم ضد النبي ﷺ، فيستجيبوا من فورهم (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) في حال قد أخذت بالمبعوثين أخذاً (حَاشِرِينَ)، حريصين على إبطال ما يقوله نبيهم ﷺ، ثم استحضار صورة الإتيان بكل ساحر عليم (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) إصرار على صفة (عليم) بتكرارها، فهو أضمن لقهر عدوهم وكان اجتماع السحرة (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) بغياب الفاعل إشارة إلى أن الحدث جلل عظيم، فلا يلتفت إلى القائل ليركز عدسة الذهن في القول ويزيده أسرا في الذهن أنه في ميقات معلوم ثم (قيل) أيضا بتكرار غياب الفاعل، سياق يمهد لتأتي (هل) (هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) فتنشر في جو النص تضاد جوابها (نعم أو لا) لتدخل على جملة اسمية لا يخفى ما فيها من ثبات المعنى بقوة إسناد الخبر الذي يجمع معنى الفعل مع فاعله بصيغة اسم الفاعل لينصبا معاً على المبتدأ دلالة على تحقق الاجتماع وضرورته عند المتكلم، فهي دعوة تدفع دفعاً إلى الاجتماع بما فيه من حث عليه واستعجال[١٢٢]؛ فنزلوا منزلة من يسأل سؤال تحقيق عن عزمه على الاجتماع[١٢٣]،

وللتأكد من اجتماعهم أجمعين وأنه لم يتخلف أحد، وللدلالة على العناية بالاجتماع لخطر موضعه، ولشدة حاجة فرعون إليه[١٢٤]، فضلاً عن سياق جمع السحرة المليء بالدوافع، وبذا يندفع المتلقي إلى طرف الجواب (نعم)، ليجتمعوا لهذا اليوم العظيم وهذا ديدن الجهال والدهماء العامة يتبعون كل ناعق مع أن الفائدة حقيرة، والعاقبة مؤلمة مفزعة لكن جوابهم كان ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية:40]، فهي الغلبة لا غيرها مهما كانت العواقب وإنْ كانت مع الباطل حتى أنهم طلبوا الأجر ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [سورة، الآية:] وهذا ديدنهم في كل عصر وأوان.

التشويق

الشوق يدل في أصله على تعلُّق الشيء بالشيء وذلك لا يكون إلا عن عَلَق حب، والشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء[١٢٥]. ولو أراد المتكلم ترغيب متلق في أمر ما، فلا بد له أن يبرز ذلك الشيء على وجه يرغبه فيه، ويأخذ بمجامع قلبه، فلا يجد منه فكاكاً ولا عنه مهرباً، ولا تطلب نفس الإنسان شيئاً إلاَّ ولها سبب يوجب ذلك من تعلق وحب فتنازعه نفسه إلى ذلك الشيء.

وهذا ما نراه في سياق (هل) لينشأ سؤال عن أمر تنزع نفس السامع إليه وتطلبه أشد الطلب، ولاسيما إنْ كانت مركوزة في فطرته، فيكون الجواب (نعم) من دون شك ولا ريب، فيحصل المراد وهو التشويق، ونجده في أجلى صورة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الصف، الآيتان:10-11].

فيبدأ النص بنداء البعيد (يا) لجمع الجم الغفير ممَّن تحلى بصفة (ءَامَنُواْ) مع (ها) التنبيه، لتصغى الآذان كلها وتركز أذهان السامعين، وتسكن منهم النفوس إليه منتظرة، ليكون فحوى النداء (هل) لتنشر في جو النص تضاد جوابها، واستحضار صورة المستفهم عنه (أَدُلُّكُمۡ)، ولا يخفى ما فيها من دلالة التفهيم[١٢٦]؛ ليتابع من قبل المتلقين ليعرفوا كنه المدلول عليه مدفوعين بحب الاستطلاع تظلهم صفة الإيمان التي نودوا بها، فهي بشارة

– لا شك – وخير، ليقع المتلقي عليه (على) والمدلول عليه (تِجَـٰرَةٍ) من مرغوبات النفوس بطبعها، فهي التي تأتي بالمال الذي به قوام حياتهم وتمتعهم وهذه التجارة (نُجِيكُم) باستحضار صورة النجاة كأنَّها مشاهدة؛ لتكون مطلب كل متلقٍ، فما من نفس إلاَّ وتريد النجاة وتسعى إليه بما وسعها من طاقتها، ولاسيَّما أنَّها نجاة (مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)، إذن هي ليست تجارة المال والمادة إنَّها تجارة العقيدة والإيمان سبب النجاة من النار، فيكون السياق أوقع في النفس تشويقاً للمخاطَبين إلى تَلَقِّي ما سَيُقَصُّ عليهم وإلهاباً لمشاعر الرغبة عندهم(١٢٧)، فيندفع المتلقي (المخاطبون) إليها بشوق لينال الأجر العميم فيختار (نعم) من جوابي (هل)، والمدلول عليه حاضر: (تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ) استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الإيمان والجهاد المؤدي إلى كمال عزهم، والمراد به الأمر وإنما جيء بلفظ الخبر إيذاناً بأن ذلك مما لا يترك(١٢٨).

هذه هي التجارة التي لا تنقطع خيريتها دون غيرها من التجارات المؤقتة التي لا بد أن تعقبها خسارة إنْ لم تكن لوجه الله ﷻ، أمَّا تجارة الدنيا؛ فيموت عنها صاحبها، وترجع عن قبره وتتركه.

التمني

التمني معنى فِي النفس يقع عند فوت فعل كان للمُتمنِّي في وقوعه نفع أو في زواله ضرر مستقبلاً كان ذلك الفعل أَو ماضياً، ويكون فيما يلذ وما يكره مثل أَن يتَمَنَّى الإنسان الموت(١٢٩)، والتمني يدخل المستحيلات(١٣٠).

قد يطمع الإنسان في أمر يريده, حريصاً على نيله ودرك غايته لكن قد يغيب عن فهمه أو يتغافل عنه أن هذا الأمر لابد له من أمرين اثنين: أولهما، أنْ يقدِّم الأسباب التي بها يقرِّب مراده، وثانيهما أنْ يكون هذا المراد في مآله من أصحابه (مستحق له) فيرجو نواله, لكنْ إنْ قصَّر فيه, فلم يقدِّم الأسباب, وخرج من ساحته؛ خسر وهلك مع الهالكين, وقد يطلبه بعد كل هذا لكن هيهات فقد آل أمره إلى التمني, وهو طلب المستحيل هنا, إذ ترسم (هل) جواً من التضاد بطرفي جوابها؛ تدفع المتلقي في سياقها دفعاً إلى (لا)، فالأمر مستحيل ولا يمكن حصوله، فما تبقى له إلاَّ الأماني، ونجده في ذكر الله ﷻ حال هؤلاء الكفار:

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ **[سورة الشورى، الآية:44].**

يبدأ النص في إقرار قاعدة مهمة لا تقبل مراجعة ولا تبديلاً أنَّ من أضلَّه الله فلا ينفعه ولي من بعد حكم الله ﷻ عليه بأنْ يخلد في النار أبداً، ثم يحكي حالهم وهم فيها (وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ) وهو إشراك للمتلقي في رؤية حال هؤلاء؛ فتعم كل من أمكن رؤيتهم فتستحضر رؤية السامع، ((استحضار صورة حال الظالمين يوم القيامة في ذهن المخاطب))[١٣١]؛ ليكون شاهداً على ذلك ولاسيما هو ليس منهم ثم المعانية التي تبصره بالاختبار بين أحد طرفي جواب (هل)، وتظل السياق على طوله، فكل ما يحصل غير خارج عن هذه المعاينة لـ (الظالمين) باسم الفاعل إشارة إلى تلبسهم بالفعل(الظلم) في دنياهم وعدم انقطاعهم عنها حتى توفاهم الله ﷻ وهم على ذلك، صورة مرعبة الظالمون وهم يرون العذاب.(لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ) بتحقق رؤية العذاب بمضي الفعل (رأوا)،تم (يَقُولُونَ) باستحضار حال قولهم، لـ (هل) ناشرة على السياق جو تضاد جوابها بين (نعم ولا)، استفهام آتٍ من بعد معاينة مؤلمة للعذاب (إِلَىٰ مَرَدٍّ) طلب للغاية (إلى) لتنتهي في (مرد) وهي الرجوع إلى الدنيا وهي إشارة إلى التعلل وتأمل الخير بما تحمله (مرد) من تأمل الرد والرجوع واغتنام فرصة لكنَّها موهومة ولاسيما أنها (من) بعض من كل، فهم أحوج إلى بعض وان قل ولكن لا سبيل،((لا يجدون محيصا ولا وليا فلا يجدون إلا الندامة على ما فات))[١٣٢]، فأنت ترى السياق يدفع دفعاً إلى (لا) فقد عاينوا العذاب وعلموا أن لا مرد لهم، فيكون الجواب مدوياً عالياً (ما من سبيل) فمقالتهم لا تعدو أنْ تكون مجرد تمني أجوف، فهم ((يتمنّون الرجعة إلى الدنيا))[١٣٣]؛ لذا يستمر السياق في بيان ذلهم وعذابهم ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ **[سورة، الآية:]

التقرير

ويدل في أصله على تَمَكُّنٍ، يُقال قَرَّ وَاسْتَقَرَّ، والتقرير: تثبيت الشيء في مقره[١٣٤]، ويكون بحمل المُخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده[١٣٥]، ولا يخفى أنَّ

كل واحد من الناس يسعى إلى إثبات ما يراه صحيحاً، فيحمل غيره على ذلك ويحثهم عليه، وإنْ كان ذلك باستنطاقهم وانتزاع إقرار منهم بدليل من عند أنفسهم أو بأمر شهدوه بأنفسهم وإنْ كان ثابتاً وواقعاً مشاهداً، وكذا تفعل (هل) تنشئ جوابها المتضاد في أمر ثابت واقعاً وحقيقة، ثم تحشد الأدلة من السياق وصولاً إلى (نعم) لتكون إقراراً من المتلقي بهذا الأمر، إذ كان ثابتاً عنده أصلاً، لكن أثير بالسؤال ليثبت من جديد ما أقرَّه قديماً وعرفه فتكون الحجة أقوى بتجددها. ونرى هذا واضحاً في حكاية الله تعالى عن حال أصحاب الجنة وأصحاب النار وهم يتحاورون فيما بينهم فيقول الله تعالى:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية:44].

نداء لا غيره، فلا يمكن التزاور بينهم، فشتان بين الحق والباطل، ولا يخفى ما في إعادة كلمة (أصحاب) من تميز بينهما والصحبة تقتضي التلازم، فأصحاب الجنة ملازمون لها لا يخرجون منها، قد قرَّت أعينهم بنعمة الله ﷻ، وأصحاب النار ملازمون لها ليس لهم إلى خروج من سبيل، قد شقوا فيها فبئس المقام، وكان فحوى نداء الأتقياء (أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا) بتأكيد الوجدان بـ (قد) مع تكرار (نا) المتكلمين كأنَّها تأكيد على تخصيصهم بهذه الأعطية دون أهل النار لدفع ما قد يتوهمه الطرف الآخر (أصحاب النار) أملاً منهم طلباً للنجاة وإنْ كان تمنياً ينبني عندهم على إمكان عدم حصول أصحاب الجنة على مرادهم، لكن (مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا) إنَّه وعد ربَّاني، فلابد أنْ يتحقق ويكون (حَقّٗا)، فيكون ((معناه ألفيناه حال كونه حقاً لا تخلُّف في شيء منه))[١٣٦]؛ ليأتي الاستفهام وقد تهيأ الجو للإقرار بهذا الحدث الهام (فَهَلۡ وَجَدتُّم) بالفاء الفورية للجمع بين صورتي وجدان الحق، بتضاد تام، فالأول كان وعداً والآخر كان وعيداً، لينتشر – من ثم – جو تضاد جواب (هل) ثم (وَجَدتُّم) بالماضي إشارة الى تحقق الوجدان فلا رجعة عنه سواء أكان إيجاباً أوسلباً، ومضمونه (مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ) وهو وجدان أهل النار، ولا يخفى أنَّه وجدان مؤلم مفزع، فالآخرة كل ما فيها متحقق (حَقّٗاۖ) من دون شك، فلا تجد أنفسهم بداً من الاتجاه إلى (نعم)، فيكون تقريرا لهم من قدرة الله ﷻعلى الإثابة في الحالين كليهما[١٣٧]، و(نعم) أتت هنا في جواب الاستفهام في الإيجاب[١٣٨]، ليكون الإقرار من

جهتين إقرار بقلوبهم وعقولهم إذ فقهت ووعت ما جرى، ثم إقرار بألسنتهم إيجابا دون تردد؛ وهذا داخل ((في توقيف المخاطَبين على غلطهم وإثارة ندامتهم وغمهم على ما فرط منهم والشماتة بهم في عواقب عنادهم))[١٣٩]، ولا يخفى ما فيه من إنكار لما كانوا ينكرونه أو يردونه من الحق في الحياة الدنيا؛ لأنَّ ((حقيقة استفهام التقرير إنكار))[١٤٠]، ليحق – من ثم – عليهم العذاب من فورهم واللعنة (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ) وهذا مصير كل كافر ما ذلَّ لله ولا خضع.

التعجيز

ويدل في أصله على الضَّعْفِ وعجزِ عن الشيء يَعْجِزُ عَجْزاً فهو عاجز أي ضعيف[١٤١]، والتعْجِيزُ: التَّثْبيطُ والنسبة إلى العَجْز[١٤٢]، ((وهو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب))[١٤٣]، كأنْ يطلب احدهم من آخر القيام بفعل والطالب يعلم أنْ المطلوب منه الفعل لا يقدر على فعله، فيعجز عنه، فيكون الطالب الآمر قد عجَّزه تعجيزاً، وبذا تقوم (هل) إذ تنشر تضاد جوابها، فيستفهم بها عن هذا المطلوب الذي لا يقدر عليه السامع؛ وليست بمكنته؛ فلا يستطيع فعله أو الإتيان به؛ فيعجز عنه فيكون الجواب: لا نستطيع ونعجز عن ذلك؛ ليكونوا عاجزين عنه؛ ولاسيما إنْ كان هذا من ادعاء بالقدرة على ذلك الفعل ونجده جلياً في حكايته عن الكفار الذين يجادلون بالباطل ويحاولون إسناد فعلهم الأثيم بالكفر إلى الله ﷻ؛ فيقول تبارك وتعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية:148] ادعاء كاذب من قوم يتعلقون بأدنى شيء؛ ليحسنوا ما قبح من أفعالهم واعتقاداتهم؛ وأساس كل ذلك (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، فعذبهم الله (حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ) ليأتي الأمر من الله لنبيه ﷺ (قُلْ)، ثم تأتي (هل) لتنشر في جو النص تضاد جوابها؛ ليترجح واحد منهما بقوة السياق القادم ويبدأ بـ(عِندَكُم) بتقدم ظرف المكان وهوهنا بالمعنى العقلي لا الحسي، مضافاً إلى ضمير المخاطبين (وهم الكفار الضالون) فلا بد أنْ تكون الحجة الصادقة الصحيحة في قلب المدَّعي ليثبت صدق دعواه وإنْ كان نزراً يسيراً (مِّنْ عِلْمٍ) ((ومِنْ ... زائدة مؤكدة وجاءت زيادتها لأن الاستفهام داخل في غير الواجب))[١٤٤]، ثم

ما فيه من استغراق النفي المتضمن له الاستفهام بـ (مِن)، ليكون المعنى: هل عندكم من علم أي علم تزعمونه فتخرجوه لنا ليكون دليلا لكم[١٤٥]، ونفي الأقل دليل على نفي الكل من باب أولى، ((وذلك يدل على أنَّ القائلين بهذا القول ليس لهم به علم ولا حجة، وهذا يدل على فساد هذا المذهب؛ لأنَّ كلَّ ما كان حقاً كان القول به علماً))[١٤٦]، فيأتيهم الامتحان (فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ) باستحضار صورة الإخراج و(لنا) تأكيداً على المراقب ومنتظر الإثبات، فتجتمع هذه كلها لتدفع المتلقي دفعاً إلى طرف الجواب (لا) مضطرين فلا علم عندهم، فيعجزون، فيكون الاستفهام تعجيزا لهم[١٤٧]، ((وجعل الاستفهام بـ (هل)؛ لأنَّها تدل على طلب تحقيق الإسناد المسؤول عنه))[١٤٨]، فتكون حجة عليهم من ألسنتهم وهذا ديدن المبطلين الكافرين دائماً يعرفون الحق وينكرونه فشأنهم القول بالظن دونما تحقيق ثم الكذب الأثيم (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ)، فآل أمرهم إلى الكذب والظن، وهما لا يغنيان من الحق شيئا، فلا ينفعان في إثبات أصلي الدين وهما: عقائده وقواعد التشريع التي يجب الجزم بها؛ بل كانوا يتبعون أدنى درجاته وأضعفها لا يعدونها وهي درجة الْخَرْصِ[١٤٩]

الخاتمة

لابد من وقفة تختم هذا التطواف الجميل فثَم النتائج التي رصدها البحث:

١. لم تأت (هل) في القرآن الكريم استفهاماً حقيقاً، لأنَّ معظم السؤال به كان من الله إلى عباده المؤمنين والكفار على السواء، ولا يختلف اثنان في أنَّ الله ﷻ لا يسال الناس؛ لأنَّه هو العليم الخبير.

٢.(هل) ليست مجرد أداة استفهام خرجت إلى النفي، إنَّما يأتيها النفي من التفاعل الحاصل في سياقها، ليطالب السياق بها بعد ذلك؛ فيكون وقعها في النفوس أكبر وسلطانها في الحجة أدوم.

٣.السؤال بـ(هل) يفسح المجال واسعاً لتأمل الذهن في الجواب، وهو معروف عند المتلقي، لكن هذه الفسحة؛ تنشئ نوعاً من المقارنة التي لا تنتهي، بين طرفي الجواب وما يلحقهما من دواعيهما، فإن كان نفياً فنفي، وإنْ كان إيجاباً فإيجاب بخلاف (الهمزة) التي تؤذن

ابتداء بهاجس في النفس تجاه ما يليه، تجاه المسؤول عنه، ومن هنا تتأتى قوة (هل) في بناء المعنى الثاني للجملة القرآنية.

٤.تعددت معاني (هل) الثانية بحسب السياق الذي يكتنفها، فتارة بمعنى الإنكار، وتارة بمعنى التهديد وغير ذلك من المعاني الثواني التي تنبع من ثنايا السياق.

٥.كان للتضاد بين طرفي جواب (هل) المتوقعين أثر جلي فــي إيضــاح الطــرف المختــار وتنويره، وبضدها تتميز الأشياء.

٦.يكون الوصول إلى المعنى الثاني للأداة (هل) من طريق رسم الصورة القائمة بين التضاد القائم بين طرفي الجواب المتوقع من طريق الدلالات المجتمعة من السياق التــي تصــب أخيراً في صالح طرف واحد، دافعاً الطرف الآخر بقوة من ساحة الحضور الذهني، ليخلــو للطرف المختار واقعاً ثابتاً.

٧.سياق جملة (هل) ثر تنبع منه المعاني، فلا تنقطع حتى يشبع التأمل منه، فلا يستغرب إذا وجد الناظر فيه أكثر من معنى لـ (هل)، فقد تجتمع أكثر من واحدة في السياق نفسه لكنَّنا اخترنا واحداً من هذه المعاني التي ترجح ابتداء لقوة ظهورها، لكن هــذا لا يمنــع مــن اقتضائها لمعاني أخرى في السياق نفسه مبنية على المعنى الأصل الأول.

٨.ان معاني (هل) لا تتأتى إلاَّ من طريق آلية الدلالة على التصــديق الأصــل فــي معناهــا الاستفهامي، فيكون عامل التصديق وترجيح أحد طرفي الجواب هو المــتحكم فــي قــوة المعنى الثاني. فلك تكن (هل) قاصرة فمعناها الثاني؛ بل هي مجيدة أيما إجــادة، فتشــغل السياق كله وتصل رحم أجزائه ببعضها لينصب كلها في بودقة تضاد الجواب في استفهام (هل)؛ لتصل من ثم إلى اختيار طرف مراد، من قبل المتلقي، فهو استفهام ابتداء ومعنــى آخر انتهاء.

هوامش البحث :

١- ينظر: مفتاح العلوم: 419.

٢- ينظر: شروح التلخيص، حاشية الدسوقي:247/2.

٣- التصور هو إدراك المفرد، مثل: أقام خالد أم ذهب؟ فالمسئول عنه هنا هو مجرد الإقامة والذهاب، والتصديق هو إدراك النسبة بين طرفي الإسناد مثل (أتخشوهم) أي أتكون خشية لهم. ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:78/1.

٤- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:59/3 .
٥- ينظر: التحرير والتنوير:254/22.
٦- ينظر: شروح التلخيص، عروس الأفراح:271/2، البرهان في علوم القرآن:348/2.
٧- ينظر: شروح التلخيص، مواهب الفتاح:257/2.
٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 456-457، و ينظر: شرح المفصل في صنعة الإعراب: 140/4.
٩- ينظر: الكتاب:175/3-177.
١٠- ينظر: شروح التلخيص، مختصر السعد:256/2.
١١- مفتاح العلوم:419، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:59/3 .
١٢- ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني:121/2.
١٣- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:456، و شرح المفصل:150/8-151.
١٤- ينظر: شروح التلخيص، حاشية الدسوقي:255/2.
١٥- مغني اللبيب:458/ 1.
١٦- مفتاح العلوم: 418.
١٧- ينظر: شروح التلخيص، مختصر السعد:247/2.
١٨- ينظر: حروف المعاني بين الأصالة والحداثة:110و134.
١٩- ينظر: المرجع نفسه:131و150.
٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:17.
٢١- ينظر: السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام: 441.
٢٢- الإيضاح في علوم البلاغة:52/3 و55.
٢٣- اللغة والمعنى والسياق، جون لايتز:14.
٢٤- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم:69.
٢٥- شروح التلخيص، مختصر السعد:266/2.
٢٦- البرهان في علوم القرآن:327/2.
٢٧- الإيضاح في علوم البلاغة:68/3.
٢٨- سنأتي على ذكرها في ثنايا البحث إن شاء الله.
٢٩- إعراب القرآن وبيانه:417/9.
٣٠- ينظر: البرهان في علوم القرآن:328/2 وما بعدها، والبلاغة والتطبيق:137-138.
٣١- ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني:342، والبرهان في علوم القرآن2/ 348،
٣٢- التحرير والتنوير:54/20.
٣٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:11/ 268.
٣٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد:3/ 501.
٣٥- التحرير والتنوير:23/ 78.
٣٦- المصدر نفسه:23/ 78.
٣٧- ينظر: عقود الجمان في علم المعاني والبيان:106، ومختصر المعاني:264/2، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:213.

٣٨- مفتاح العلوم:427.

٣٩- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:556/2، والقاموس المحيط:326و822.

٤٠- لأنّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرته. ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:88/10، واللباب في علوم الكتاب:19/ 564.

٤١- ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:62/5-63.

٤٢- ينظر: محاسن التأويل:398/8.

٤٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد:80/4، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن:220/7، واللباب في علوم الكتاب:287/17-288.

٤٤- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:122/5.

٤٥- ((نَظَرْتُه، أي انتظرته ... كأنَّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه)). معجم مقاييس اللغة:444/5.

٤٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل:280/3.

٤٧- ينظر: التفسير القرآني للقرآن:338/13.

٤٨- ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:96/13.

٤٩- ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:263/4، وتفسير المراغي:106/25.

٥٠- ((السين والواو والعين يدلُّ على استمرار الشّيء ومُضيِّه. من ذلك السَّاعة)). معجم مقاييس اللغة:116/3.

٥١- ((وعبر عن اليوم بالساعة تلميحاً لسرعة ما يحصل فيه)). التحرير والتنوير:251/25.

٥٢- ينظر: تفسير القرآن، السمعاني:114/5.

٥٣- ((البغْت، وهو أنْ يفجَأَ الشيءُ)). معجم مقاييس اللغة:272/1.

٥٤- ((بغتة مصدر في موضع الحال)). مشكل إعراب القرآن:494.

٥٥- ((وجملة وهم لا يشعرون في موضع الحال من ضمير النصب في تأتيهم)).التحرير والتنوير:251/25، وينظر: مشكل إعراب القرآن:494.

٥٦- مفاتيح الغيب:65/4.

٥٧- التحرير والتنوير:54/20.

٥٨- الخصائص:269/3.

٥٩- ينظر: البحر المحيط في التفسير:206/9.

٦٠- يقرآن بالتنوين والنصب، وبحذف التنوين والخفض. فالحجة لمن نوّن: أنه أراد الحال والاستقبال، ولمن أضاف: أنه أراد ما ثبت ومضى. ينظر: الحجة في القراءات السبع:310، والتيسير في القراءات السبع:190. ((والصواب...أنهما قراءتان مشهورتان، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب)). جامع البيان في تأويل القرآن:296/21.

٦١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل:5/ 43.

٦٢- على قراءة التنوين والنصب.

٦٣- ((وجيء بحرف هل في جواب الشرط وهي للاستفهام الإنكاري أيضا تأكيدا لما أفادته همزة الاستفهام مع ما في (هل) من إفادة التحقيق)).التحرير والتنوير:17/24.

٦٤- ينظر:معجم مقاييس اللغة:72/5، وجمهرة اللغة:1018/2.

٦٥- لسان العرب:235/1.

٦٦- ينظر: معجم مقاييس اللغة:287/1. وتهذيب اللغة:212/1. ولسان العرب:11/2.

٦٧- التبكيت وأساليبه النحوية في القرآن الكريم:113.

٦٨- وليس كما قال بعض الباحثين أن الاستفهام هنا للطلب المصحوب بالرجاء والاستجداء. ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:297/12.

٦٩- ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):383/6.

٧٠- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:398/21.

٧١- ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:543/7.

٧٢- ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):35/9.

٧٣- لطائف الإشارات:309/3.

٧٤- ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:231/7. وبحر العلوم:120/2.

٧٥- ((قال مقاتل: تقول لهم خزنة جهنم)) التفسير البسيط:321/17.

٧٦- ((والاستفهام بـ (هل) مشرب معنى النفي)). التحرير والتنوير:108/9.

٧٧- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:510/19.

٧٨- التفسير الوسيط لطنطاوي:364/10.

٧٩- معجم مقاييس اللغة:59/6.

٨٠- الفائق في غريب الحديث:188/1.

٨١- معجم مقاييس اللغة:144/3.

٨٢- الفروق اللغوية للعسكري:255.

٨٣- ينظر: الفروق اللغوية للعسكري:26، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:6934/10.

٨٤- معجم الفروق اللغوية:275.

٨٥- ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم:8/ 583.

٨٦- ينظر: التحرير والتنوير:16/ 46.

٨٧- روح المعاني:8/ 367.

٨٨- ينظر: التفسير القرآني للقرآن:8/ 715.

٨٩- مفتاح العلوم:192.

٩٠- ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:3/ 570. والتحرير والتنوير:22/ 148.

٩١- جامع البيان في تأويل القرآن:20/ 354.

٩٢- ينظر: التفسير الوسيط للواحدي:3/ 487.

٩٣- التحرير والتنوير:22/ 147.

٩٤- ينظر: معجم مقاييس اللغة:5/ 385.

٩٥- ينظر: التحرير والتنوير:21/ 219.

٩٦- ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:19/ 215.((لأن النبأ خبر وقول، فالكسر في إن لمعنى الحكاية في قوله(يُنَبِّئُكُمْ) دون لفظه)).المصدر نفسه:20/ 353.

٩٧- التحرير والتنوير:22/ 148.

٩٨- ينظر: البلاغة والتطبيق:129.

٩٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:6/ 294.

١٠٠- ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:4/ 414. والبحر المحيط في التفسير:4/ 359.

١٠١- التحرير والتنوير:7/ 28.

١٠٢- المصدر نفسه:19/ 205.

١٠٣- ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:3/ 76.

١٠٤- ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن:4/ 108.

١٠٥- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير:12/ 425. وينظر: التفسير البسيط:5/ 130.

١٠٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:4/ 1427.

١٠٧- ينظر: معجم مقاييس اللغة:5/ 250.

١٠٨- الجامع لأحكام القرآن:11/ 17. وينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي:8/ 552.

١٠٩- ينظر: زهرة التفاسير:9/ 4559.

١١٠- ((أي هل اتبعك حال كونك معلماً لي)) إعراب القرآن وبيانه:5/ 631.

١١١- ينظر: التحرير والتنوير:15/ 370.

١١٢- ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس:2/ 64.

١١٣- ينظر: تاج العروس:40/ 487. وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:1/ 391.

١١٤- التحرير والتنوير:16/ 325.

١١٥- ينظر: العين:7/ 335. وجمهرة اللغة:1/ 205. الفروق اللغوية للعسكري:67.

١١٦- التحرير والتنوير:16/ 325.

١١٧- ((وَالشَّجَرَةُ هِيَ الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا دُونَ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ)). التحرير والتنوير:16/ 325.

١١٨- التحرير والتنوير:16/ 326.

١١٩- المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

١٢٠- ينظر: معجم مقاييس اللغة:2/ 13. والمعجم الوسيط:1/ 181.

١٢١- ينظر: تاج العروس:40/ 487. والصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:140.

١٢٢- ينظر:البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:4/ 133. ومحاسن التأويل:7/ 456.

١٢٣- ينظر: التحرير والتنوير:19/ 125.

١٢٤- ينظر: زهرة التفاسير:10/ 5352.

١٢٥- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:4/ 1504. ومعجم مقاييس اللغة:3/ 229.

١٢٦- ينظر: بحر العلوم:1/ 138.

١٢٧- ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:278/4، التحرير والتنوير:184/3، إعراب القرآن وبيانه:83/10.

١٢٨- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل:5/ 209. وينظر: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني:156.

١٢٩- ينظر: الفروق اللغوية للعسكري:123-124.

١٣٠- ينظر: البرهان في علوم القرآن:2/ 323.

١٣١- التحرير والتنوير:25/ 78.

١٣٢- المصدر نفسه:25/ 124.

١٣٣- تفسير المراغي:25/ 58.

١٣٤- ينظر: معجم مقاييس اللغة:5/ 7. والتوقيف على مهمات التعاريف:106.

١٣٥- ينظر: الكليات:98. وينظر: مختصر المعاني:137.

١٣٦- التحرير والتنوير:8/ 137.

١٣٧- ينظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان:6/ 467. والتفسير القرآني للقرآن:6/ 1029.

١٣٨- ينظر: التفسير المنير للزحيلي:1/ 202.

١٣٩- التحرير والتنوير:8/ 136.

١٤٠- الكليات:98.

١٤١- ينظر: معجم مقاييس اللغة:4/ 232.

١٤٢- القاموس المحيط:516/1.

١٤٣- البلاغة والتطبيق: 126.

١٤٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:2/ 360.

١٤٥- ينظر: زهرة التفاسير:5/ 2720.

١٤٦- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير:13/ 173.

١٤٧- ينظر: تفسير المنار:8/ 156. وتفسير المراغي:8/ 63.

١٤٨- التحرير والتنوير:8/ 149.

١٤٩- ينظر: تفسير المنار:156/8. والخرص هو الحزر وليس ومن الكذب في شيء واستعمل في موضع الكذب؛ لأنَّ الخرص يجري على غير تحقيق فشبه بالكذب في موضعه. ينظر: الفروق

المصادر والمراجع

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١ هـــ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، ط:٤، ١٤١٥هـ.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية – التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،دار الجيل، بيروت، ط:٣، (د.ت).
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د. حسن عباس زكي القاهرة، ١٤١٩هـ.

- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط:١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ، ود. كامل حسن البصير، الطبعة الثانية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل ١٤٢٠هـ، ١٩٩٠م .
- التبكيت وأساليبه النحوية في القرآن الكريم، أ.م.د سهاد جاسم عباس.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)الناشر : الدار التونسية للنشر - تونسسنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٣٠هـ.
- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨ه)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٣٠هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)(د.ت).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط:٢، ١٤١٨هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط:١،[وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]تاريخ النشر:أجزاء:١ - ٣: يناير ١٩٩٧جزء ٤: يوليو ١٩٩٧جزء ٥: يونيو ١٩٩٧أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨جزء ١٥: مارس ١٩٩٨
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤ م.
- الجنى الداني في حروف المعاني المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت٧٤٩هـ) تحقيق: د فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت٣٧٠هـ)،تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط:٤، ١٤٠١هـ.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار عالم الكتب، بيروت، (د ط)، (د.ت).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د ط) (د. ت).

- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ،١٩٩٢.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، محمد علي بيضون، ط:١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.
- الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨ هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، الطبعة الثانية .
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٧١٨هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- الكتاب، أبو بشر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٣، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: أ. نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: أ. نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لايتز، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوئيل يوسف عزيز، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٧م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.
- المعجم الوسيط، قام بأخراجه إبراهيم مصطفى ،احمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مصر، ١٩٦١م.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، ود. أحمد عبد الغني الجمل، ود، عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣هـ)،
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د ط)، (د. ت).
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحـــقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، شركة مكتبة [كذا] ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط:١، ١٣٦٥هـ ،١٩٤٦م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـــ)المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة ط:١، ١٤٢٠ هـــ - ٢٠٠٠ م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين، بيروت، ط:١، ١٩٨٧م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د.ت).
- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، ٢٠٠٠م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٤، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥م.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
- شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي (ت٦١٧ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:١، ١٩٩٠م.
- شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، ١٩٣٧م، ويتضمَّن ما يأتي: مختصر سعد الدين التفتازاني (٧٩٣هـــ) وواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي (١١١٠هـــ). وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي (٧٧٣هـــ).والإيضاح للخطيب القزويني. وحاشية الدسوقي على شرح السعد للدسوقي (١٢٣٠هـــ).

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت٥٧٣ه)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، و د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط:١، ١٤٢٠ ه، ١٩٩٩ م.
- عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ه)، تحقيق وضبط: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:١، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢ م.
- علم المعاني دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، (د ط)، (د.ت).
- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت٨٩٣ه)، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، ١٤٢٨ هـــ – ٢٠٠٧ م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠ه)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٦ هـــ.
- كتاب العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٤٠٦هـــ، ١٩٨٥م.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـــ)، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٧٥هـــ– ١٩٥٦م.
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥ه)،تحقيق:إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:٣.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢ه)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٨ه.
- مختصر المعاني، مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢ه)، مع حاشية محمود حسن (ت١٣٣٩ه)، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ط:١، ١٤٣١ه،٢٠١٠م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠ه)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط:١، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧ه)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠ه)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٤، ١٤١٧ه، ١٩٩٧م.
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥ه)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـــ "قم"، ط:١، ١٤١٢م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت٣٩٥ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه ،١٩٧٩م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد، أبو محمد، جمال الدين ابن هشام (ت٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط:٦، ١٩٨٥م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت:٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي (ت١١١٠ هـ).

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت١١٥٨؟)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ط) (د.ت).

البحوث المنشورة في الدوريات

- السلوك الانفعالي في أسلوب الاستفهام دراسة لغوية تحليلية نفسية، علي محمد نور المدني، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، م١٧ ع١ ،ص:٤٣١-٤٦٨، ٢٠٠٩م، ١٤٣٠هـ

Abstract

The paper deals with the question tool "هل" and what rich and beautiful meanings it provides. It is used for questioning but there are more than this meaning behind it. It extends to express more than the meaning of questioning to include different metaphorical purposes that are understood from the context. It expresses more than the meaning of questioning in the Noble Quran to cover negation, denying, informing, realization, command and other minute meanings in a beautiful context reflected by the response of the reality of questioning setting to determine the type of activity response in what the context sketches to it arriving at the intended meaning and the goal behind this great book.